



القيم الأخلاقية في الإسلام وفي الفكر الغربي (دراسة مقارنة)

Ethical values in Islam and Western thought (Comparative study)

غصنه حمد متعب العامري¹

Ghasna Hamad Mutaeb Alameri

ملخص البحث

تزخر تعاليم الإسلام بكثير من القيم الفاضلة، والمثل العليا، والمبادئ الكريمة التي تسمو بالإنسان إلى معالي الأمور، وترفع مستواه الخلقي على سائر المخلوقات. وهذه القيم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية، حتى يعرف عن المسلم الصدق والأمانة والمروءة والنجدة وإتقان العمل إلى غيرها من الأخلاق، بينما نجد القيم الغربية تقوم على تحقيق اللذة والمتعة، وتنطلق من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، ولا عجب، فمصدرها مفكرون وفلاسفة يخبون ويكرهون، وتتحكم فيهم الشهوات والأهواء. ولكن أصبح الغرب يتغنى بقيمه ومبادئه وأصبح يفرضها على باقي الأمم بحجة النصرة للمظلوم، فجاء هذا البحث للوقوف على قيم الإسلام من خلال الكتاب والسنة وأقوال علماء المسلمين ومقارنتها بالقيم الغربية لإبراز القيم الإسلامية من خلال المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: القيم الإسلامية، الغرب، الأخلاق، معيار الأخلاق، الحضارية.

Abstract

The teachings of Islam are rich in many virtuous values, ideals, and noble principles that elevate the human being to supreme matters and raise his moral level above all other creatures. These values are closely related to the civilized building of the Islamic nation, so that the Muslim knows about honesty, honesty, chivalry, help and mastery of work to other morals, while we find Western values based on achieving pleasure and pleasure, and stemming from the principle of the end justifies the means, no wonder, its source is thinkers and philosophers who love and hate Desires and desires control them.

¹ كبيرة الوعاظ بالهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف، الإمارات العربية المتحدة، البريد الإلكتروني: qe9na.alamri@gmail.com

But the West became proud of its values and principles and imposed them on the rest of the nations under the pretext of supporting the oppressed. This research came to find out the values of Islam through the Qur'an and Sunnah and the sayings of Muslim scholars and compare them with Western values to highlight Islamic values through the inductive and analytical approach.

key words: Islamic values, the West, ethics, the standard of ethics, civilization.

المقدمة:

تزخر تعاليم الإسلام بكثير من القيم الفاضلة، والمثل العليا، والمبادئ الكريمة التي تسمو بالإنسان إلى معالي الأمور، وترفع مستواه الخلقي على سائر المخلوقات. وهذه القيم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية متمثلة في التقدم العقلي والمادي لهذه الأمة العريقة، من خلال تكوين السلوك الخلقي الفاضل عند المسلم، ليصبح سجيلاً وطبعاً، يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين، حتى يعرف عنه الصدق والأمانة والوفاء والمروءة والنجدة، وإتقان العمل، وغيرها من القيم الرفيعة، ولا عجب، فمصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة. بينما نجد القيم الغربية تقوم على تحقيق اللذة والمتعة، وتنطلق من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، ولا عجب، فمصدرها مفكرون وفلاسفة يجنون ويكرهون، وتتحكم فيهم الشهوات والأهواء.

مشكلة البحث: يتغنى الغرب بقيمه ومعاييره الأخلاقية، وقوانينه التي تحفظ لكل ذي حق حقه وتراعي حقوق الإنسان، كما أنها أصبحت تفرض ما لديها من أخلاقيات وقيم على غيرها من الشعوب بحجة النصر للمظلوم والدفاع عن حقوق الإنسان، والبحث عن العدالة، ولم تأل جهداً في الهجوم على قيم الإسلام وإظهارها بمظهر التخلف والعدوانية والظلم، فجاء هذا البحث للوقوف على قيم الإسلام من خلال الكتاب والسنة وأقوال علماء المسلمين ومقارنتها بالقيم الغربية لإبراز القيم الإسلامية التي ابتعد عنها المسلمون مما فتح المجال للغرب لفرض قيمهم علينا.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في نقطتين:

- 1- إبراز قيمة الأخلاق الإسلامية وبيان مكانتها من الكتاب والسنة، والتعريف بها وبفوائدها على كافة أطراف المجتمع.
- 2- دحض الأوهام الغربية المتعلقة بالأخلاقيات التي يدعون أنها أفضل ما توصلت إليه البشرية.

أولاً: أنواع القيم في الإسلام

إن القيم في الفكر الإسلامي تنبع من الشرع الإسلامي المطهر الذي يربط المسلم بخالقه ﷻ، والذي خلق الإنسان وجعله خليفته في الأرض؛ ليسعى لعمارها معنوياً ومادياً. وقد جرت عادة المفكرين المسلمين على أن يقسموا القيم إلى ثلاثة أنواع:

أ. القيم العليا

وهي القيم الكلية الكبرى التي تسمو بالإنسان إلى معالي الأمور وترفع مستواه على سائر المخلوقات.

1. قيمة الحق:

الحق في اللغة: مضاد الباطل، وهو مصدر حق الشيء من بابي ضرب وقتل. وحققت الأمر أحقه: إذا تيقنته أو جعلته ثابتاً لازماً، وحقيقة الشيء: منتهاه وأصله المشتمل عليه²، وحق الشيء بمعنى، ومنه الحاقة، لأنها ثابتة كائنة لا محالة³. وأصل الحق: المطابقة والموافقة.

ويطلق الحق في المصطلح الشرعي على أمور كثيرة، أبرزها:

- أ. الله سبحانه الموحد للشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله ﷻ: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾ [يونس:30].
- ب. فعل الله تعالى للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق، قال ﷻ: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس:5].
- ج. الاعتقاد الصادق للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال ﷻ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:213].

² أحمد بن محمد الفيومي المقرئ، المصباح المنير، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1417هـ/1996م)، ص78.

³ أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكلبيات، (سوريا: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، ص189.

د. الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب، ويقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب قال ﷺ: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس:33]، وكقولنا: فعلك حق، وقولك حق⁴.

فالحق إذاً ليس مجرد حكم مستخفٍ في الأشياء يبحث عنه الإنسان، بل إن له معاني ظاهرة، ودلالات بيّنة، فالله حق، ودينه حق في أخباره وشريعته، وخلق الله في هذا الوجود حق، والمعرفة البشرية إذا قام فيها شيء من الحقائق السابقة حق.

وموقف المسلم تجاه الحق ليس حيادياً، بل هو مأمور بالبحث عن الحق والسعي لتحصيله، وحمله والحكم به وتطبيقه في واقع حياته، قال الله ﷻ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:26]. وفي المقابل ذم الله سبحانه المعرضين عن الحق، والمشوهين لصورته، والكاظمين له عن الناس، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:42]⁵.

معيّار الحق:

يقوم المنهج الإسلامي على تعدد المعايير بحسب أنواع الحق، وبحسب أحوال الباحثين عنه. فالطريق إلى معرفة الله تعالى، هو الفطرة البشرية التي تعرف الله وتوحده، متى عريت عن الغشاوات الحاجبة لضوئها، ولهذا كان منهج القرآن الكريم يقيظ هذه الفطرة وتذكيرها بالحقيقة التي شهدت بها، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:172].

أما صدق الرسالة، فإن الطريق إليه هو التفكير الذي يتجرد فيه الإنسان من المؤثرات غير المنطقية سواء كانت أهواء ذاتية أم ضغوطاً اجتماعية، حيث ينظر في شخصية الرسول ﷺ وسيرته ودعوته والكتاب الذي جاء به بصفته معجزة نبوية، كما هي الحال في الطريقة القرآنية في إثبات صدق رسالة الرسول ﷺ، وهي إيراد أدلة كثيرة تتكاتف وتتعاقد لتؤدي إلى العلم اليقيني، ولذلك فإن النظر والتأمل في آيات الله تعالى وما تحويه من أخبار يحصل به العلم الضروري بصدق رسالته عليه الصلاة والسلام وأنه أعلى درجات النبوة⁶.

⁴ مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ/2005م)، ص25.

⁵ عبد الرحمن الزيندي، السلفية وقضايا العصر، (الرياض: دار إشبيليا، ط1، 1418هـ/1998م)، ص514، 515.

⁶ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص28، 29.

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شَيْءٍ وَأَنْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبأ:46]. إن طريق معرفة النصوص الشرعية الثابتة عن الرسول ﷺ في القرآن والسنة. وأما الحقائق الكونية والاجتماعية، فقد وجه القرآن الكريم العقل بشأنها داعياً إياه للنظر والتأمل والاعتبار من خلال استقراء التاريخ والواقع.⁷

2. قيمة العبودية:

العبودية لغةً: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، يقال: طريق معبد، أي مذلل وأصل العبودية الخضوع والذل والطاعة⁸.

العبودية اصطلاحاً: انطلاقاً من التعريف اللغوي للعبودية يحدد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- العبودية في الإسلام، حيث تتجلى في عنصرين متكاملين: "العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله، في غاية محبة له⁹.

فالعبودية والعبادة إذاً ليست مجرد خضوع وذل بحت، ولكنها شعور العابد بعظمة المعبود وعلوه بما يليق بجلاله وعظمته، فالخضوع -هنا- خضوع قلبي وظاهري بعظمة المعبود وعلوه بما يليق بجلاله وعظمته، فالخضوع هنا خضوع قلبي وظاهري معاً، فأصل العبادة هو الإذعان الكلي، والخضوع الكامل، والطاعة المطلقة.

ويعرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بأنها "اسم جامع ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك: من العبادة وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمة، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء برحمته والخوف من عذابه، وأمثال ذلك: هي العبودية لله¹⁰.

فشيخ الإسلام ابن تيمية ينظر إلى العبادة على أنها شاملة لكل نواحي الحياة، دون خروج شيء منها عن شرع الله تعالى، ودون قطع أو تجزئة لمفهومها العام.

⁷ عبد الرحمن الزيندي، السلفية وقضايا العصر، ص520، 521.

⁸ الفيومي، المصباح المنير، ص202

⁹ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، العبودية، تعليق: محمد منير الدمشقي، (الرياض: مطابع النصر الحديثة، 1404هـ)، ص12.

¹⁰ المرجع السابق، ص8.

وتعدُّ العبودية لله أساس القيم كلها، فهي قيمة كلية شاملة مهيمنة على القيم الأخرى، بل وعلى الوجود الإنساني كله؛ لأنها تبدأ بالإيمان بالله رباً وإلهاً مشرعاً، وبرسوله، ورسالة محمد ﷺ جاءت به تفصيلاً بصفته التشريعية المنزل من عند الله تعالى، ليحفظ للإنسان إنسانيته وليحقق الغاية المنشودة من وجوده على وجه هذه الأرض على أكمل الوجوه، ثم تتمثل في الالتزام بهذا التشريع

ب. القيم الحضارية

وهي القيم المتعلقة بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية متمثلة في التقدم العقلي والمادي معاً، وهي ذات طابع اجتماعي عمراني، كالاستخلاف، والمسؤولية.

أ. المساواة:

أولاً: المساواة لغةً: مادة (س و ي) أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين. يقال: هذا لا يساوي كذا، أي لا يعادله، وفلان وفلان على سوية من الأمر، أي سواء، والمساواة: المماثلة والمعادلة فرداً أو قيمة، واستوى القوم في المال إذا لم يفضل منهم أحد على غيره، واستوى على الفرس استقر، واستوى المكان اعتدل¹¹.

فالمساواة في اللغة العربية تطلق على عدة معانٍ، وهي: الاستقامة والاعتدال - المماثلة - الوسطية - الاستقرار. ثانياً: المساواة اصطلاحاً: المساواة في المجال الأخلاقي تعني: "أن يكون للمرء مثل ما لأخيه من الحقوق، وعليه مثل ما عليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان"¹².

فالمساواة إذاً تعني العدل بين شيئين، أو أن يكون الناس متساوين في الحقوق والواجبات.

والحقيقة أن الإسلام قد تميز بهذه القيمة الحضارية العظيمة، والتي عجزت جميع النظم الحديثة والمنظمات الدولية عن تحقيقها، وقد أعلنها النبي ﷺ وطبقها في واقع المسلمين، وبذلك يكون قد خرج للبشرية أعظم جيل عرفته الإنسانية على الإطلاق، فالمساواة قيمة عظيمة. ما أجملها! وما أعظمها! وما أروعها! إذا طبقت في واقع الناس فإنهم يشعرون بالأمن والطمأنينة والراحة والسعادة¹³.

¹¹ الفيومي، المصباح المنير، ص155.

¹² المناع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص35.

¹³ المرجع السابق، ص36، 37.

وبذلك يتضح لنا أن المساواة من أهم القيم التي جاء بها الإسلام؛ لأنها مرتبطة بالعدالة ارتباطاً وثيقاً، وبالطبع هي غاية عظيمة، ومطلب عزيز لكل البشر.

إن معيار التفاضل بين الناس في الإسلام هو التقوى وحدها، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13]، ولهذا فإن الإسلام يتميز على جميع النظم والأيدلوجيات والشرائع والأديان الوضعية بهذا المبدأ العظيم، وهذه القيمة الكبرى مما يجعل المسلم يفتخر بهذا الدين القويم، وقيمه العظيمة.

فوائد المساواة:

المساواة هي القيمة الحضارية الكبرى في الإسلام، حيث تحقق للمجتمع المسلم عدة فوائد عظيمة، منها:

1. تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم.
2. إشعار المرأة بقيمتها؛ إذ هي مساوية للرجل في الإنسانية وأصل المسؤولية والجزاء وحق العبادة وحصول الثواب، كما أنها لا تشكل الجانب الأضعف.
3. اطمئنان كل فرد على عدالة الحكم، وأن السياسة التي تقوم على ذلك سياسة عادلة، لا تفرق بين الناس تبعاً لأعراقهم ووضعهم الاجتماعي، أو موقعهم من السلطة.¹⁴

ب. الجمال:

الجمال لغة: هو ضد القبح، ورجل جميل وجمال. وقيل الجمال: الحسن الكثير، وذلك نوعان: أحدهما: جمال يخص الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله. الثاني: ما يوصل منه إلى غيره. قال سيبويه: الجمال رقة الحسن، والأصل جماله بالهاء، مثل صبح صباحة لكنهم حذفوا الهاء تحقيقاً لكثرة الاستعمال، وتحمل تحملاً بمعنى تزين وتحسن إذا اجتلب البهاء والإضاءة¹⁵.

¹⁴ المرجع السابق، ص37.

¹⁵ أحمد الفيومي، المصباح المنير، ص61.



الجمال اصطلاحاً: عرف الجمال بأنه "صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً ورضى، والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضى واللطف، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم، أعني الجمال، الحق، والخير"¹⁶.

فجمال الأشياء وحسنها في اتصافها بما يليق بها من صفات الكمال، فإذا تكاملت صفات الجمال في شيء أو إنسان كملت خلقته، وحسن كل شيء في كماله الذي يليق به.

فوائد الجمال:

1. إظهار المسلم بالصورة اللائقة نظيفاً طاهراً جميلاً.
 2. كل ما في الكون من جمال يتدبره المسلم دليل على جمال الخالق سبحانه وتعالى.
 3. وجوب التحلي بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل؛ لأنها من القيم التي لا بد للمسلم أن يتحلى بها ليزداد جمالاً فوق الجمال الذي وهبه الله إياه¹⁷.
- فالمسلم يتجمل في ملبسه ومظهره دون غرور أو كبر، فلباسه ونعله حسن، ورائحته طيبة، يتطهر ويتوضأ خمس مرات استعداداً وتحملاً للقاء رب، مستجيباً لأمر ربه يأخذ الزينة عند كل مسجد، لهذا فالقيم الحضارية في الإسلام تعد المسلم الذي يحمل القيم الجمالية في باطنه وظاهره، ليظهره بالصورة اللائقة به.

ج. القيم الخلقية

وهي القيم التي تشكل السلوك الخلقى الفاضل عند المسلم، ليصبح سجية وطبعاً، يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوثام، والبر، والصدق

1. البر:

¹⁶ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (دار الكتاب العربي، 2008م)، ج 1، ص 407.

¹⁷ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص 43.

البر لغةً: مصدر بر يبر، والبر: التوسع في فعل الخير. يقال بر العبد ربه، أي: توسع في طاعته وبر الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما¹⁸.

البر اصطلاحاً: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تعريفه البر: "إن لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13-14]، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ [البقرة: 189]، فالبر إذا أطلق كان مسماها مسمى التقوى، والتقوى إذا أطلقت كان مسماها مسمى البر، ثم قد يجمع بينهما كما في قوله ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: 2]، "فعطف جل شأنه التقدير على البر"، وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما¹⁹.

وقد عرف الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - البر بأنه: "اسم جامع يدخل فيه العقائد الإيمانية وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، يدخل فيه جميع المأمورات وترك المنهيات"²⁰.

فوائد البر:

إن للبر فوائد عظيمة وكثيرة، منها ما يلي:

1. البر طريق يوصل إلى الجنة، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: 5].
2. الزيادة في العمر والبركة في المال والنسل، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها»²¹.
3. من أسباب سعادة المرء في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

¹⁸ الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان داودي، (بيروت: دار القلم، ط2، 1997م)، ص114.

¹⁹ المناع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص43.

²⁰ المرجع السابق، ص43، 44.

²¹ محمد بن عيسى، الترمذي، السنن، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، ج4، ص448، رقم2139 وقال: حديث حسن غريب. محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ)، المقدمة، باب في القدر، ج1، ص35، رقم90.

2. التعاون:

التعاون لغة: التعاون من العون، والعون هو: الظهير على الأمر ويجمع على أعوان، والمعونة: الإعانة. رجل معوان: حسن المعونة أو كثيرها، واستعنت بفلان فأعاني وعاونني، وتعاوننا: أعان بعضنا بعضاً²².

التعاون اصطلاحاً: عرف التعاون بأنه: التضامن والتعاقد والتراشد²³. وذلك لأن الإنسان كما يقول ابن خلدون رحمه الله: "محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبداً بطبعه". ويقول في موضع آخر "فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته... وإذا كان التعاون حصل له القوت، والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه"²⁴.

وقد عرف التعاون على البر والتقوى، بأن: "يظهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله عز وجل ويجنبه معصيته"، يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران:103]، إن الله يأمر بالآلفة والاجتماع وينهى عن الفرقة والاختلاف، والحث على التواصل "في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى"²⁵.

فوائد التعاون: للتعاون فوائد كثيرة وعظيمة، منها ما يلي:

1. إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد وحداناً.
2. شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز عن نفسه، وقدرته على مواجهة الأخطار المحدقة به ممن حوله من الإنسان والحيوان.
3. سبب من أسباب الألفة والمحبة بين الناس.
4. يحقق سنة الله في خلقه ويحقق طبيعة الأشياء²⁶.

ثانياً: أنواع القيم في الفكر الغربي

²² محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج13، ص298-299.

²³ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص300.

²⁴ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص48.

²⁵ المرجع السابق، ص48.

²⁶ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص50.



قبل الخوض في شرح وتفصيل أنواع القيم في الفكر الغربي، سوف توجز الباحثة أبرز النظريات التي تحدثت عن القيم في الفكر الغربي المعاصر. حيث أن مواقف المفكرين الغربيين بشأن دراسة القيم متشعبة، فقد كثرت مذاهبهم وتعددت. وفيما يلي سنتناول الباحثة في إيجاز أبرز النظريات التي تناولت القيم بالدراسة والتحليل في الفكر الغربي، وهي:

أولاً: النظرية اللاهوتية:

وتقوم على رد جميع القيم إلى الله ﷻ، سواء أكانت تلك القيم قيماً أخلاقية أم حقائق للمعرفة. ومن أشهر القائلين بهذه النظرية الفيلسوف الفرنسي نيقولا مالبراس (1638-1715م)، وهو من أتباع الفيلسوف الشهير رينيه ديكارت (1596-1715م)، يقول عن الحقائق الكلية أو المعاني العامة في الوجود، والتي تمثل مبادئ العقل في معرفته: إنه يستبعد القول بإحداث العقل الإنساني لهذه المعاني؛ لأنها طبيعية لا نهائية، فهي بذلك تفوق قدرة العقل، ومن ثم فهو يعجز عن إيجادها، فلا يبقى بعد هذا إلا احتمال واحد مطابق للعقل وهو وجود هذه المعاني في الله، فهو يرى أنه لا بد للعقل الإنساني أن يتسامى في حال الفكر إلى مستوى القبول من العقل الإلهي (تعالى الله عما يقولون)، وذلك لقصور العقل ومحدودية نطاقه²⁷.

وبالمعنى نفسه قال "جوتفريد ليبتز" (1646-1716م) الذي أكد على "أن الأخلاق الضرورية متعلقة بالعقل الإلهي -تعالى الله عما يقولون- فقط، وهو موضوعه الباطن"، وقد سبق الفارابي هؤلاء الفلاسفة فيما ذهبوا إليه، فعند تفسيره لقول أفلاطون بعالم الماهيات أو المثل القائمة - والتي هي الكليات أو الأمور العامة - خارج الذهن الإنساني وخارج الأشياء: فالمقصود هو وجودها في علم الله؛ لأنه هو الموجد الخالق لها، لا في عالم مستقل²⁸.

كما ذهب كثير من الفلاسفة اللاهوتيين إلى أن الخيرية مردها إلى الله، والخير خير، لأن الله أمر به، كما أنه صادر عنه ﷻ، ومن هؤلاء "جيرسون 1331م" و"دترسكوت 1308م" و"وليام أوكام 1349م" وغيرهم من متأخري علماء اللاهوت.

²⁷ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة"، (القاهرة: دار الجامعات المصرية للطباعة والنشر)، د.ط، (1972م)، ج4، ص79، 85.

²⁸ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص51، 52.



وكذلك يرون أنه من الخطأ أن يقال: إن الله أمر به لأن طبيعته خير، فهي إنما كانت حقاً وخيراً، لأن الله أمر بها أو وجه إليها، فهم بذلك ينكرون أن تكون في القيم ذاتها طبيعة أصلية، ومن ثم قالوا إن مقياس الأخلاقية لا يقوم في طبيعة الأفعال، بل في إرادة الله²⁹.

ثانياً: النظرية المثالية:

وتنسب هذه النظرية للفيلسوف اليوناني أفلاطون (427ق.م-347ق.م)، حيث أقام مذهبه في المعرفة والوجود والأخلاق على أساسها، وتلخص هذه النظرية عنده فيما يلي: أن هناك عالماً تقوم فيه حقائق ثابتة أزلية كاملة، وهي صور مجردة أو مثل عليا، لا تفسد ولا تغير السلوك الإنساني، وهو بذلك يضع القواعد التي تحدد استقامة الأفعال الإنسانية وصوابها، كما يدرس الخير باعتباره غاية الإنسان القصوى التي لا تكون وسيلة لغاية أبعد منها. وهذه الغاية القصوى تتميز بأنها غاية إنسانية خالصة تكمل صاحبها وتزيد إنسانيتها. فعلم الأخلاق على سبيل المثال يعد علماً معيارياً وليس وضعياً، أي بحث فيما ينبغي أن يكون وليس فيما هو كائن³⁰.

وبالطبع هناك مثل أعلى ينبغي أن يسير السلوك بمقتضاه، ومستوى أو معيار أو مقياس للحكم يمكن الإنسان من التمييز بين الخير والشر، فالإنسان بما أنه ينزع إلى الكمال إذا استقام فكره، فإنه يحاول أن يتحقق بالصورة العليا من تلك المثل في شخصيته، كما أنه لا يقف في معرفته وتأمله عند الصور المادية القريبة، وإنما يصعد إلى تأمل المثل في ذاتها³¹. بل وإلى تعجل مفارقة الحياة للتخلص من أسر المادية، لتعود روحه إلى عالم المثل الأزلية الكاملة؛ لأن الفيلسوف يحس بالشوق إلى علم الإلهيات، كما يحس بثقل الجسم الذي يعوقه عن اللحاق به. فالموت في زعمهم خلاص للنفس وبداية حياة جديدة. كما وصف أفلاطون حياة سقراط بأنه عاش حياته معرضاً عن متاع الدنيا هائماً بالجمال الأسمى داعياً إليه، وكان يشدد به الهيام فيغيب عن العالم المحسوس ويستغرق في التأمل حتى يمكث واقفاً بلا حراك ساعات طويلة، كما وصف حاله وهو في سجنه وقد دنا أجله بأنه لا يخشى الموت فأقدم على احتساء السم راضياً باحثاً من وراء ذلك عن سعادته المزعومة³².

²⁹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، (القاهرة: دار النهضة العربية، ط4، 1964م)، ص426-247.

³⁰ المرجع السابق، ص435-437.

³¹ عبد الرحمن الزيندي، السلفية وقضايا العصر، ص465.

³² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، (بيروت: دار القلم، د.ط، د.ت)، ص99.



ولا تزال هذه النظرية حية رغم قدمها، بل إنها تلقى رواجاً في عصرنا الحاضر لدى الفلاسفة الذين رفضوا القبول بمصدر ديني للقيم أو للعقل البشري وتجاربه، فـ "نظرية أفلاطون والنظريات المستمدة منها هي التي تشكل الجانب الأكبر من الفلسفة المعاصرة، وهذا ما يبدو جلياً في حديث نيكولاي هارتمان عن القيم في كتابه "الأخلاق"، وبذلك تقف تأويلات فلسفة أفلاطون وتطبيقاتها بارزة في المناخ الفلسفي لعصرنا الحاضر"³³.

ويعد الفيلسوف كانط (1724-1804) من أبرز المنسوين للنظرية المثالية، وقد أقام كانط القيم على مفهوم جديد، وهو مفهوم الواجب غير المشروط، وأنكر ربط الفكر الأخلاقي بنتائج الأفعال من لذات والآم أو منافع ومضار، وجعل قيمة الأفعال قائمة في باطنها وليست في الغايات التي تقوم خارجها، وأنه يجب على الإنسان أن يرتفع بحياته إلى المستوى الأخلاقي الذي يدفعه إلى وضع الواجب في قلبه، ولهذا فالأخلاق عنده مطلقة وواجباتها مسلمت، فالإنسان عنده كائن قيمي يستطيع أن يكتشف القانون الأخلاقي الذي يصلح لكل فرد ولكل زمان³⁴.

ويتفق أصحاب النظرية المثالية على أن القيم تتمثل في كليات أو قوانين عامة مجردة غير مرتبطة بالزمان والمكان، وذات مستوى ثابت مطلق. ومفردات المعرفة أو الأخلاق أو الجمال القائمة في حياتنا تستمد وصفها القيمي من تبعيتها لتلك القيم، إلا أنهم يختلفون في مرجعية هذه الكليات أو القوانين فهي ترجع إلى عالم روحي فوق عالمنا المادي أو إلى العقل البشري؟³⁵.

ثالثاً: النظريات الوضعية:

إن أصحاب هذه النظريات يجمعون على استبعاد وجود حقائق أو قيم أخلاقية لا تستمد من التجربة العملية، فكل قضية تحمل معنى، تعبر لا محالة عن صورة مطابقة للواقع، والقيم والمثل العليا ما لم تكن وصفاً لحالة موجودة في الفعل لا تكون ذات معنى وقيمة يمكن التثبت منه بالخبرة الحسية، أي أنهم ينكرون وجود حقائق وقيم مطلقة تستمد من العقل أو من أي مصدر آخر سوى التجربة، فهي بذلك سلوكيات واقعية محكومة بالأعراف الاجتماعية والمادية، كما أن هذه السلوكيات أو القيم صادقة بمقدار ما تنتج من ثمار وما تؤدي إليه من نفع.

³³ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص53.

³⁴ سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيمة الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر، ص92.

³⁵ المرجع السابق، ص467.

فالقيم في نظرهم تعبر عن انفعالات تصيب صاحبها، بمشاعر ذاتية لا تخضع لأحكام موضوعية، فإذا قلت: رد الأمانة إلى أهلها واجب أخلاقي، قصدت بذلك أن تصور قيمة عليا لا أن تصف حالة موجودة في الواقع، فأنت بذلك تعبر عن شعورك وميلك وموافقتك نحو رد الأمانة، ونفورك من عدم ردها إلى أصحابها³⁶.

فيرى الوضعيون أن القيم الأخلاقية مجرد أوامر في صيغة مضللة، كما يقول "كارناب"، أو هي محاولة يقوم بها فرد يجعل من رغباته الشخصية أماني أو رغبات يدين بها غيره من أفراد المجتمع، كما يقول "برترند رسل" تعبيراً عن اتجاهه الأخير في رفض موضوعية القيم الأخلاقية³⁷.

ويرى "جون ديوي": أن المعيار الصحيح لاختيار أي فلسفة إنما هو معرفة النتائج التي توصلنا إليها هذه الفلسفة. وأن سلوكنا تجاه الأشياء هو الذي يحدد قيمتها. وأما "بيرس" فيقول: إنه لكي تتضح دلالة الفكر فإننا لا نحتاج إلا إلى تحديد السلوك الملائم للواقع، وللحصول على الوضوح التام في أفكارنا عن موضوع فإننا لا نحتاج إلى الاهتمام بالآثار العملية التي يتضمنها أي موضوع نتصوره³⁸. وعلى هذا فإن محك الصواب والخطأ لكون الأشياء حقاً أو خيراً هي القيمة المنصرفة "الفورية" في تجارب الحياة، ومن ثم أصبحت المنفعة مقياس الحق كما عبر عن هذا ذلك وليم جيمس "1910م مؤسس المذهب النفعي"³⁹.

وترى الباحثة -هنا- أن جميع القيم تفقد قيمتها الحقيقية في أي فكر أو فلسفة لا تؤمن بوجود الله، ولا تقيم له اعتباراً في حياتها، ولهذا كان موقف الوجودية الملحدة الهدام للأخلاق موقفاً صريحاً في هذا المجال، حيث يقول أحدهم: إذا لم يكن الله موجوداً، فكل شيء مباح، وهذا المبدأ كان نقطة البداية بالنسبة للوجودية.

أنواع القيم في الفكر الغربي المعاصر:

³⁶ المناع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص55.

³⁷ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص45-446.

³⁸ سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيمة الأخلاقية، ص112.

³⁹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص396.

لقد اختلف الباحثون حول القيم من حيث عددها وأنواعها، والمشهور في الفكر الفلسفي أن هنا ثلاث قيم مطلقة، وهي (الحق والخير والجمال)، وهناك من زاد عليها القيمة الدينية فجعلها أربعاً، وهناك من وسعها إلى عدد أكبر من ذلك⁴⁰.

ويتفق الدكتور عبد الرحمن بدوي مع مَنْ قال: إنها ثلاث قيم، وهي⁴¹: القيم العقلية أو المتعلقة بالحق، والقيم الجمالية أو المتعلقة بالجمال، والقيم الأخلاقية أو المتعلقة بالخير.

أولاً: قيمة الحق:

الحق يطلق في الفكر الحديث على المطابقة، والتي تعني:

- مطابقة القول للواقع.
- الموجود حقيقة لا الموجود توهمًا. فالحق بهذا المعنى هو الموجود الثابت.
- التصور السالم من التناقض أي الممكن في العقل⁴².

والحق واحد الحقوق، وله معنيان:

الأول: ما كان فعله مطابقاً لقاعدة محكمة.

الثاني: هو ما تسمح القوانين الوضعية بفعله، سواء أكان ذلك السماح صريحاً أم كان نتيجة مبدأ عام يسوغ كل فعل غير محظور، أو ما تسمح العادات والأخلاق بفعله، سواء أكان ذلك الفعل عملاً صالحاً أم عملاً لا علاقة له بالأخلاق الفاضلة⁴³.

مقياس التمييز بين الحق والباطل:

لقد اختلف الباحثون في تصورهم لمعيار التمييز بين الحق والباطل، فبعضهم يأخذ بمقاييس التطابق، ويراد به مطابقة الحكم أو الفكر للموضوع الخارجي، وقد قال بهذا أرسطو ومن تابعه من الفلاسفة. وهناك من يجعل المقياس هو الاتساق

⁴⁰ عبد الرحمن الزبيدي، السلفية وقضايا العصر، ص 469.

⁴¹ عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، (الكويت: وكالة المطبوعات)، ص 89-90.

⁴² المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص 57.

⁴³ المرجع السابق، ص 57.



والتناسق، أو عدم التناقض، ويستخدم في الاستدلال على صحة قضيته بالاستنباط العقلي بغض النظر عن الحقيقة الواقعية⁴⁴.

ومن هذه المقاييس مقياس الترابط الذي يقول به أصحاب الاتجاه المثالي، ويراد به أن يكون الحكم مرتبطاً بمجموع الأحكام المعروفة، ثم مقياس الوضوح عند أصحاب نظرية الواضح بذاته، بحيث يستبين الإنسان حق الاستبانة أن هذه القضية ينتفي معها الشك مطلقاً، فهل تحمل في ذاتها الشاهد على صدقها، ويبدو هذا في الأوليات الرياضية التي تبدو ضرورية واضحة بذاتها، كقولك إن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين، وقد يكون الواضح ناتجاً لا عن وضوح كامل لنتيجة ما، وإنما عن وضوح مقدماتها التي نتجت عنها. وقد أيد هذه النظرية "ديكارت" و"جون لوك" فكانت أول قاعدة في المنهج الذي جعل ديكارت لا يقبل شيئاً على أن حقاً ما لم يتبين في وضوح أنه كذلك، وأن يتجنب التسرع والسبق إلى الحكم قبل النظر فالوضوح هنا هو المقياس الأقصى للحق⁴⁵.

وهناك مقياس النفع في الحياة العملية "المنفعة"، فالحكم يكون صادقاً متى دلت التجربة على أنه مفيد عقلياً وعلمياً، فمقياس الحق هو المنفعة أو العمل المنتج ولي حكم العقل المجرد. أما الطبيعيون فإن معيار الحق لديهم، هو خبرة الإنسان المادية وتجاربه وخبراته الحسية، فهم بذلك يحصرن الحقائق في عالم المادة وحده⁴⁶.

ثانياً: قيمة الخير:

الخير لغةً: مادة (خ. ي. ر) وأصله العطف والميل، ثم يحمل عليه. فالخير: خلاف الشر، لأن كل أحد يميل ويعطف على صاحبه. ورجل خير وامرأة خيرة: فاضلة⁴⁷.

والخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع.

⁴⁴ عبد الرحمن الزبيدي، السلفية وقضايا العصر، ص472.

⁴⁵ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص393 – 394.

⁴⁶ عبد الرحمن الزبيدي، السلفية وقضايا العصر، ص472، 473.

⁴⁷ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ط1، 1418هـ / 1998م) ج2، ص232.



الخير اصطلاحاً: تعددت توجهات الفلاسفة الغربيين نحو طبيعة الخير، فالفلاسفة العقليون يجعلون الوجود مبدأ الخير، أما فلاسفة القيم فيجعلون الخير مبدأ الوجود. وقد عرف بعضهم بأنه: الذي تتوجه إليه كل الأفعال والذي له قيمة بذاته. وقيل هو: ما يكون به كمال الإنسان ورفعته⁴⁸.

وفي الدراسات الاجتماعية والفلسفية الخير هو القيمة الكبرى التي تندرج تحتها القيم الخلقية الأخرى، لهذا فهم يرون أن: "الخير هو الأساس الذي تبني عليه مفاهيم الأخلاق كلها، لأنه المقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا في الماضي والحاضر والمستقبل"⁴⁹.

أما الخير المطلق فيرى معظم الفلاسفة أنه: "هو الوجود الذي ليس لذاته حد، ولا لكماله نهاية؛ لأنه خير لذاته وبذاته. وهو عند "افلاطون" أعلى المثل، ويسمى بالخير الأعلى، وقد أطلق "أرسطو" هذا المعنى على غاية كل فعل، وأطلقه "كانت" على الفعل الذي يلائم الإنسان بكليته، لا من جهة ما هو عاقل فحسب، بل هو من جهة ما هو عاقل وحساس وفعل"⁵⁰.

ثالثاً: الجمال:

الجمال من القيم المطلقة، ومفهوم طبيعته مثار اختلاف بين الباحثين الغربيين المعاصرين وغيرهم وقد نتج عن هذا الاختلاف ظهور أربع نظريات، هي:

النظرية الأولى: يرى أصحابها⁵¹ أن حقيقة "الجمال قائمة في ذات الشيء الجميل، فهي صفة من صفاته"⁵². فللجمال وجود موضوعي، ولهذا اتفق في تذوقه والاستماع به جميع الناس في كل زمان ومكان، فالشيء الجميل يقوم بالقياس إلى ما فيه من خصائص ومميزات تثير الإعجاب بجماله، فهي صفة موضوعية ملازمة للشيء الجميل وتقوم

⁴⁸ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص 61.

⁴⁹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 549.

⁵⁰ المرجع السابق، ج 1، ص 549.

⁵¹ من أمثال الفيلسوف الحدسي برايس (1791م)، والفيلسوف الألماني شوبنهاور (1860م) والفيلسوف هيدجر.

⁵² صالح بن أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط 1، 1407هـ/1986م)، ص 29.

فيه، ولو لم يوجد عقل يقوم بإدراكها، ولا ذات تتذوقها. ويرجع القول بأن الأحكام الجمالية موضوعية وليست ذاتية إلى أفلاطون⁵³.

النظرية الثانية: يرى أصحابها⁵⁴ أن حقيقة الجمال مستقرة في شعور الإنسان نحو ذلك الشيء، أي في القوة المدركة والمتذوقة للجمال، فالجمال هنا ليس صفة عينية تقوم في الشيء الجميل مستقلة عن كل إدراك، وإنما هو مرهون بالتأثير الذي يتذوق الجمال، ومن ثم يكون الجمال عند أصحاب هذه النظرية نسبياً يتوقف على شخصية الفرد ومستوى حضارته ومبلغ حظه من الثقافة بوجه خاص وليس عاماً مطلقاً لا يتقيد بزمان ولا مكان⁵⁵.

النظرية الثالثة: حاول أصحابها أن يقيموا توازناً بين الذات المدركة والجانب الموضوعي للجمال، ولذا فقد اعتبروا الجمال الذي يشعر به الإنسان هو نتاج علاقة الشيء الجميل والعقل الذي يدركه، ولك منهما دور في حصول هذا الشعور، فإضافة الجمال إلى شيء معناه وجود دوافع في نفوسنا قد أصبحت بالتأمل فيه في حالة توازن وانسجام عاطفي⁵⁶.

النظرية الرابعة: ينتمي أصحاب هذه النظرية إلى المدرسة الاجتماعية التي عمدت إلى إلغاء الفروق الفردية، وتجسيم الذوق الاجتماعي، فهي بذلك لا تعترف بفردية الفنان، ولا تتردد في رد الشعور بالجمال إلى ذوق المجتمع. إلا أن إسقاط عامل الفرد في الجمال كفيل بإتلاف أثر الفن المتبادل، وإفساد روعة الجمال⁵⁷.

المعيار الجمالي:

لقد اختلف الباحثون في تحديد معيار موضوعي مقنع نستطيع به تحديد الجميل والقبيح من الأشياء والأفعال والإنتاج الإنساني عامة للوقوف على مدى كونه عملاً فنياً مبدعاً يحقق قدراً عالياً من الجمال.

فقد ذهب بعض الفلاسفة إلى أنه يستحيل صوغ معيار للجمال؛ ذلك لأن الأذواق تختلف إلى ما لا نهاية، وعللوا ذلك بأن الجمال أمر عرضي، والعلم هو علم للضروري لا للعرضي، فمن غير الممكن بناءً على ذلك أن نطبق

⁵³ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 456-457.

⁵⁴ من أنصار هذه النظرية الفيلسوف الألماني مانويل كانت (1804م)، وكذلك الفيلسوف كاسيرر (1945م)، والفيلسوف تولستري (1910م).

⁵⁵ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 458.

⁵⁶ عبد الرحمن الزبيدي، السلفية وقضايا العصر. ص 485.

⁵⁷ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 459-460.

عليه معايير العلم وأن نقر مقاييس أو معايير يمكن اعتمادها في تقدير مستوى الجمال للأشياء والأفعال وتحديدها، ومن أبرز القائلين بهذا الفيلسوف "هيغل"⁵⁸.

وذهب آخرون إلى إمكانية قياس الجمال بالرجوع إلى أحد هذه الأمور الثلاثة:

– الاستناد إلى آراء علماء الجمال والفلاسفة.

– مقارنة الأعمال الفنية بعضها ببعض.

– الاعتماد على الطبيعة؛ لأنها تبدو في بعض الأحيان المعيار الأقرب للصواب الذي نقيس به الأعمال الفنية الجميلة. إلا أن هذه المعايير الثلاثة ليس لديها القدرة على إعطائنا الحكم الصحيح على الأشياء الجميلة، كما لا يمكن الاعتماد عليها: فآراء العلماء غالباً ما تنطلق من فلسفات ووجهات نظر مختلفة كل تبع مذهبه الذي ينتمي إليه، مما يجعل تلك الأحكام متباينة⁵⁹.

فمقارنة الأعمال الفنية بعضها ببعض يدخل في الحكم عليها عوامل أخرى تؤثر في حكمنا عليها، كالأسبعية الزمنية للأعمال، وهل صانعو تلك الأعمال من الرواد المشهورين أو من المغمورين؟ فيكون الحكم – هنا – لا على العمل الفني لذاته، وإنما من خلال صانعه.

أما الاعتماد على الطبيعة كمعيار للجمال فقد أنكر كثير من الفلاسفة المعترين – في هذا المجال – ذلك، فهم ينكرون محاكاتها ويردونها بالكامل، وبالتالي فلا يمكن اعتمادها⁶⁰.

وقد ذهب آخرون إلى أن معيار الجمال وتذوقه إنما يرد إلى حكم عقلي يصدر من شيء يصف الجمال، وأنه من الواجب إخضاع روائع الفن إلى قواعد وقوانين معينة. فالحكم الجمالي هنا عقلي محض لا يختلف عن سائر الأحكام الواقعية التي تصف الظواهر ولا تتجاوز الوصف إلى التقويم. وينسب هذا القول إلى مدرسة العقلين.

وتؤكد المدرسة الرومانسية أو العاطفية على العنصر العاطفي أو الوجداني في تذوق الجمال، وتنكر إمكان وضع قواعد للجمال الفني. فهذه المدرسة بذلك تمهبط بقيمة العنصر العقلي في الحكم الجمالي، هذا إذا اعترفت بوجوده أصلاً،

⁵⁸ المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص 64.

⁵⁹ المرجع السابق، ص 64.

⁶⁰ صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ص 38.



لأنه في نظرها مجرد وجدان بالجمال أو حدس مباشر يصل إلى قلب الأشياء الجميلة فيتذوقها ويصدر حكمه عليها بالجمال أو القبح.

وحاول آخرون الجمع بين المدرستين السابقتين والمزج بين رأييهما فقالوا: إن الحكم الجمالي أو التمييز بين الجميل والقبيح ليس عقلياً خالصاً ولا وجدانياً محضاً، وإنما هو مزاج من عقل ووجدان. ويستدلون على ذلك بأنه عند استعراضنا لتاريخ الفن نلاحظ أن الذين أبدعوا روائع التاريخ كانوا يمتازون بالعقول الخصب المدركة والمشاعر العميقة الحساسة المرهفة⁶¹.

الخلاصة والنتائج:

بعد دراسة القيم عند كل من المسلمين والغرب كانت نتيجة المقارنة مايلي:

1. تنبع النظرة الإسلامية للقيم من الشرع الإسلامي المطهر الذي يربط المسلم بخالقه **وَتَكْوِينِهِ**، ويجعله خليفة في الأرض، ويسعى لعمارته معنوياً، بعبادة الله تعالى، ومادياً حسب منهج الله في ذلك. بخلاف النظرة الغربية للقيم والتي تنظر إليها نظرة مادية بحتة.
2. القيم الإسلامية ترد إلى ثلاثة أنواع كلية، وهي: القيم العليا، والقيم الحضارية، والقيم الخلقية، ويدل ذلك على وضوح النظرة الإسلامية للقيم وشموليتها وتكاملها من حيث طبيعتها ومعاييرها ومصدريتها، بخلاف النظرة الغربية القاصرة التي حصرت القيم في ثلاث، وهي: الحق والخير، والجمال.
3. غموض كثير من المذاهب الغربية التي تناولت القيم بالدراسة والتحليل، وبعيداً عن تجارب الحياة، كالقائلين بأن الخيرية تقوم في طبيعة الأفعال، بحيث تترك فكرة الخيرية بعيدة عن الأذهان جافة مجردة في التصور.
4. الاضطراب والتخبط الشديدين في فهم طبيعة القيم في الفكر الغربي المعاصر وصلتها بالإنسان وتعامله معها وتحديد مصدريتها والمعيير الذي تقاس به من خلالها: فعند الحديث عن مصدرية القيم على سبيل المثال: نرى أن بعضهم ردها إلى العقل البشري، وبعضهم إلى التجربة، وغيرهم ردها إلى الله، وإن كان هذا الرأي قد انحسر كثيراً لدى الغربيين، فهم لا يستقيمون على تصور سليم وواضح لهذه المصدرية.

⁶¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 463-464.



وكذلك عند حديثهم عن الحق على سبيل المثال: اختلفوا هل هو نسبي أم مطلق، إنساني أم علوي يتجاوز الإنسان؟

5. التناقض بين الحق والخير بوصفهما قيمة كبرى، وذلك نتيجة الانفصام إلى حدث بين الفكر التنويري في عصر النهضة والدين النصراني الكنسي المحرف. كما نتج عنه كذلك الفصل بين القسم والدين لتكون قيماً إنسانية يتم بعد ذلك تحطيمها على يد بعض الفلسفات المنحرفة كالوجودية والوضعية.

6. غاية السلوك الخلقى القيمي في الفكر الإسلامي هو سعادة الإنسان في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة، فهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. أما الفكر الغربي فنظرته مادية أرضية دونية بحتة، تهدف إلى تحقيق الرغبات ونيل الملذات، بمعنى أن غاية السلوك الخلقى في هذا الفكر هو تحقيق أهداف قريبة، غالباً ما تكون موهومة كالمعرفة والسعادة المادية والمنفعة.

7. النظرة الجزئية لمصدر الالتزام الخلقى عند الغربيين، مع اختلافهم الشديد في ذلك، منكرة لما سواها من المعايير أو مصادر الإلزام الأخرى، فضلاً عن استبعاد الوحي الإلهي بوصفه معياراً للقيم وإنكار أن يكون الإيمان بالله واليوم الآخر مصدر إلزام.

8. إنكار بعض النظريات الغربية: أن يكون ثمة جمال يستحق تجاوب النفس البشرية معه وتأكيد أن الجمال الحقيقي يكمن فيما يبدعه الإنسان من فنون وآداب، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على نظرة جزئية قاصرة للوجود⁶².

المصادر والمراجع:

‘Abd al-Salām, Sāmiyah ‘abd a-RaġmĒn, *al-Qiyam al-’akhlĒqiyyah dirĒsah naqdiyyah Fi al-Fiker al-Islāmiy Wa al-Mu’ĒĒer*, 1st Edition, (Cairo: Dār al-NahĒah al-Maġriyyah, 1412AH/1992AD).

Abu RaiyĒ, Moġammad ‘ali, *TĒrikh al-Fiker al-Falsafiy “al-Falsafah al-’adithah”*, (Cairo: Dār al-JĒmi‘ah al-Maġriyyah, 1972).

⁶² المناع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ص 69، 70.

Al-Faiumiy al-Muqri', 'ahmad Bin Mo'ammad, *al-Mu'lbāl al-Muneer*, I'tanÉ Bihi: Yusof al-Shikh Mo'hammad, 1st Edition, (Beirut: al-Maktabah al-'a'riyyah, 1417AH/1996AD).

Al-Kafawiy, 'abu al-Baqā' 'aiyub Bin MūsÉ, *al-KuliyyÉt*, Ta'liq: 'adnÉn Darwish, Wa Mo'ammad al-Ma'riy, (Syria: Manshurat WizÉrat al-ThaqÉfah Wa al-Irshād, no date).

Al-MÉne', MÉne' Bin Mo'hammad Bin 'ali, *al-Qiyam Baina al-IslÉm Wa al-Gharb dirÉsah ta'Íliyyah muqÉranah*, 1st Edition, (Riyadh: Dār al-Fa'ilah, 1426AH/2005AD).

Al-RÉgheb al-IsfahÉniy, *al-MufradÉt*, 1st Edition, Ta'liq: ØafwÉn 'adnÉn al-DÉoudi, 2nd Edition, (Beirut: DÉr al-Qalam, 1997).

Al-Shāmiy, ØéliÍ Bin 'ahmad, *al-ÚÉhirah al-JamÉliyyah Fi al-Islām*, (Beirut: al-Maktab al-IslÉmiy, 1407AH/1986AD).

Al-Turmiziy, Mo'hammad Bin Isā, *al-Sunan*, Ta'liq: 'ahmad Mo'ammad Shāker Wa 'Ékharun, (Beirut: Dār IÍiyÉ' al-TurÉth al-'arabi, no date).

Al-Ùawil, Tawfiq, *'usus al-Falsafah*, 4th Edition, (Cairo: Dār al-Nah'ah al-'arabiyyah, 1964).

Al-Zndiy, 'abd al-Ra'lmÉn, *al-Salafiyyah Wa Qa'liÉiyÉ al-'a'ler*, 1st Edition, (Riyadh: Dār IshbiliyÉ, 1418AH/1998AD).

Badawiy, 'abd al-Ra'lmÉn, *Mu'jam Maqāyīs al-Lughah*, Ta'liq: 'abd Assalām Mo'hammad Hārūn, (Kuwait: WakÉlat al-Ma'bu'Ét, no date).



Ibn Fāris, 'aḥmed, *Mu'jam Maqāyīs Al-Lughah*, Ta'liq: 'abd al-Salām Moḥammad Hārūn, 1st Edition, (Damascus: Dār al-Fikr, 1418AH/1998AD).

Ibn Mājah, Mo'ammad Bin Yazid al-Qazwinī, *al-Sunan*, Ta'liq: 'Moḥammad Fu'ād 'abd al-BÉqiy, (Beirut: Dār Al-Fikr, no date).

Ibn Manzūr, Mo'ammad Bin Makrim, *Lisān al-'arab*, 3rd Edition, (Beirut: Dār Šādir, 1414 AH).

Ibn Taimiyah, 'alīmad Bin 'abd al-×alim, *al-'Ubudiyyah*, Ta'liq: Mo'ammad Munir al-Dimashqiy, (Riyadh: Ma'Ébi' al-Na'fer al-×adith, 1404).

Hossam Moussa Mohamed Shousha, Models for some judicial systems since the creation of mankind to a good mission wilderness, BALAGH: Journal of İLAHIYAT faculty, Vol 1 No 1 (2021).

Karam, Yusof, *Térikh al-Falsafiy al-YunÉniy*, (Beirut: Dār Al-Fikr, no date).

Øalibah, Jameel, *al-Mu'jam al-Falsafiy*, (Cairo: Dār al-KitÉb al-'arabi, 2008).